

عزيز حيدر*

التعليم الحريدي في إسرائيل: تطور ظاهرة "مجتمع الدارسين"

مقدمة

يتميز الحريديم، في جميع أماكن وجودهم، الانعزال الإرادي عن العالم الحديث في مختلف مجالات الحياة: السكن في أحياء ومستعمرات ومدن خاصة بهم؛ جهاز تعليم خاص بهم؛ حد أدنى من المعاملات الاقتصادية مع العالم الخارجي، وخصوصاً العمل في وظائف لا يقوم بها العلمانيون اليهود، كالخدمات الدينية خاصة؛ جهاز قضائي خاص بهم.

يتركز الحريديم في إسرائيل في مدينتي القدس وبنى براك، وفي بعض الأحياء في مستعمرات صغيرة أو في مستعمرات حريدية خاصة بهم. وهي ظاهرة ذات أهمية كبيرة في فهم خصائصهم الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وضمن ذلك جهاز التعليم الخاص بهم.

إضافة إلى الانعزال، يتميز الحريديم بأن لديهم تصورات سلبية عن الشعوب الغربية والأديان والثقافات الأخرى. وهذه التصورات مرتبطة بعدم الثقة بغير اليهود، ومواقف العزلة، وحتى العداة لهم. عززت هذه المواقف الاستراتيجية التقليدية المتمثلة في العزلة والبعد والنفور من قيم حياة المجتمعات الأخرى وأنماطها.⁽¹⁾ كما أنهم ينظرون إلى الآخرين نظرة تعال، ويعتبرونهم يعيشون حالة من الحيرة ومرائين. وهم يتحفظون من دولة إسرائيل ولا يعترفون بسلطة مؤسساتها، ذلك بأنهم يرون أن الله هو المخلص، وكل ما يمكن أن يفعله البشر هو الصلاة والاسترحام والإكثار من تعلم التوراة والقيام بالفرائض كي يستحقوا الخلاص.⁽²⁾

هذه الخصائص المميزة للمجتمع الحريدي تشكل خلفية لفهم نظرة الحريديم إلى التعليم وأهدافه، ولفهم تطور إحدى الظواهر الخاصة بهذا المجتمع، وهي ظاهرة "مجتمع الدارسين"، الذين "توراتهم مهنتهم"، وإلقاء مهمة العمل وكسب لقمة العيش على عاتق النساء والدولة.

يتفق المختصون بالتعليم على أن هذه الحالة فريدة في نوعها في العالم، إذ لا يوجد دولة أخرى يحظى فيها تيار يرفض منهاج التعليم الرسمي بتمويل من الحكومة،

* أستاذ علم الاجتماع في مركز دراسات المنطقة التابع لجامعة القدس، القدس الشرقية، وزميل أبحاث في معهد أبحاث هاري ترومان في الجامعة العبرية.

وحتى بامتيازات. وقد أصبح تعليم الحريديم من أبرز المؤشرات إلى استقلال الجماعات الحريدية شبه المطلق، وعدم تبعيتها للدولة في إدارة مؤسساتها التعليمية وتخطيط برامجها ومناهجها. ومن وجهة نظر حريدية ودينية - أوثوذكسية، يمكن الإشارة إلى إنجازات غير مسبوقه: بحسب عدد الطلاب في اليشيفوت من كل الأنواع والمستويات، وعدد من يحصلون على فرصة تخصيص وقتهم لـ "التوراة لذاتها" كغاية حياتهم، وكمية المنشورات في القضايا الدينية، أو بحسب الميزانيات المخصصة للتعليم الديني، يمكن الحسم أن التعليم اليهودي التقليدي لم يزهده يوماً في إسرائيل كما هو اليوم، على الأقل من الناحية الكمية⁽³⁾ (انظر المعطيات لاحقاً).

لم يعد التعليم بالنسبة إلى الحريديم مجرد أداة فعالة لتحقيق الانعزال عن المحيط، وهو هدف مهم بحد ذاته، وإنما تحول إلى أداة مهمة للحصول على الموارد الاقتصادية ومراكمة القوة السياسية. ومن هنا تحويل الحريديم إلى عامل رئيسي نشيط في مركز اتخاذ القرار في الشؤون الداخلية والخارجية في إسرائيل. لذلك كان لهذه الظاهرة نتائج اجتماعية واقتصادية وسياسية عميقة في المجتمع الإسرائيلي.

من هنا أهمية دراسة تطور التعليم الحريدي في إسرائيل ومكانته وإنجازاته، والبحث في آثاره في المجتمع الإسرائيلي منذ قيام الدولة إلى اليوم، والتركيز على ظاهرة "مجتمع الدارسين".

أولاً: أهداف التعليم الحريدي في إسرائيل

ينتمي الطفل منذ ولادته إلى حلقة تدريس معينة تابعة لآخام معين، في شكل كتاب. يتعلم الطفل أن يقدر الآخام ويعتبره قدوة، وأن يتقبل أفكاره، وأن يسلك بحسب العادات والتقاليد من دون التفكير فيها أو التساؤل عنها أو نقدها؛⁽⁴⁾ ذلك بأن الحقيقة غير مهمة بذاتها، إنما الأهم هو الإيمان.

تختص اليشيفاه بتعليم التوراة والتلمود والشريعة والفقه اليهودي. وكانت واحدة من أهم وسائل الدفاع عن النفس التي استخدمها اليهود في أوروبا في مواجهة العلمانية والتحديث، وقامت بدور أساسي في عزل اليهود عن المحيط. كذلك شكلت، لاحقاً، أهم قلاع الجمهور الحريدي في معارضته الصهيونية العلمانية وحره ضدها.⁽⁵⁾

كان تعليم التوراة في اليشيفاه التقليدية الأساس الوحيد الذي حاز شرعية رجال الدين وموافقتهم، على اعتبار أنها الهدف والوسيلة في آن واحد. وبحسب وجهة نظر مؤسسيها ومقرري أيديولوجيتها لا يوجد مكان للعلوم الدنيوية أو للنقد، ولا مكان لتعليم الإناث في اليشيفاه، ولا مكان للتدريب العملي لإتقان أية مهنة. فالتعليم

مناقض للعمل الديني، وهدفه عدم وجود هدف محدد، أي تعليم التوراة لذاتها كفرض ديني.⁽⁶⁾ بهذا المعنى يكون هدف التعليم الحريدي تربوياً في الأساس، وهو صنع جيل وإنسان بحسب معتقدات كبار رجال الدين في التاريخ اليهودي، الذين جسدوا في شخصياتهم ونمط حياتهم ونشاطهم الروحاني منجزات هذا التعليم. من هنا فالتعليم، من وجهة نظر المربي والأهالي والمجتمع الحريدي كله، ليس مجرد مهمة بين أخريات، وإنما هو المهمة الأولى، ولا يوجد سبب يمكن أن يؤدي إلى إهماله.⁽⁷⁾ لذلك فالتعليم ليس وسيلة وإنما هو هدف بحد ذاته، ولا يوصل إلى أي لقب أو شهادة. فاللقب ملازم للتعلم، أي أنه المعرفة بذاتها.⁽⁸⁾

ينبع الاختلاف بين التعليم الحريدي والتعليم الغربي من الاختلاف الأساسي في تعريف الحياة ودور الإنسان فيها. فبينما يحاول الآخرون صوغ شخصية الطالب بهدف مساعدته في أن يعيش، وأن يكون إنساناً نافعاً، وأن يتمتع في حياته، وأن يقوم بالمهام الملقاة على عاتقه، فإن اليهودية تربي الإنسان من خلال إدراك أن هذا المخلوق موجود في الحياة لفترة قصيرة جداً من مجمل وجوده، ويجب الاهتمام به في فترة حياته هذه وما بعدها. فالإنسان ليس لحظة عابرة، والحياة ليست مغامرة عرضية. معنى حياة الإنسان يتعدى كثيراً وجوده على الأرض، التي هي نفسها لم تتكون مصادفة وبذاتها.⁽⁹⁾ وعلى هذا الأساس يعارض المجتمع الحريدي تعلم جميع أنواع العلوم بدعوى أنها تفسد الإنسان.⁽¹⁰⁾

بناء على هذا الفهم لا توجد حاجة إلى العلامة أو الشهادة. الشهادة ضرورية فقط في صفوف المدارس الابتدائية، إذ يجب أن يكون هناك معيار ملموس لتقويم التقدم والحصول على نتائج تربوية، وكذلك في مدارس الإناث لأن التعليم يختص بمهن محددة. أما في الشيفوت فلا معنى للشهادة لأن الأهمية تعطى للحوافز، ومنها ينتج الجهد في التعليم.⁽¹¹⁾

كان هذا هو المفهوم التقليدي للتعليم لدى الحريديم. لكن اتفاقهم مع الحكومة نص على أن يتبنوا 75% من منهاج التعليم العلماني في مقابل اعتراف وزارة التعليم بمؤسساتهم وتمويلها من الميزانيات الحكومية، وهو شرط نص عليه القانون بالنسبة إلى جميع مؤسسات التعليم في البلد. لكن الاتفاق نص أيضاً على أن من حق الوزير إعفاءهم من ذلك بحسب ما يرى. وفعلاً، هذا ما قرره وزراء التعليم الواحد تلو الآخر. وقد أعلنت ممثلة النيابة العامة، في ردها على القضية التي رفعها عضو الكنيست باريتسكي من حزب شينوي لإجبار الوزارة على إعلان منهاج أساسي، أن المدارس الحريدية تقدم تقارير يستدل منها على أنها تعلم المنهاج العام غير أنه لا يوجد تفتيش عليها، ولا رقابة.⁽¹²⁾

وبحسب الاتفاق الأساسي، يتعلم الطلاب في المرحلة الابتدائية الحساب واللغة

العبرية، ويتعلمون في المرحلة الثانوية خمسة موضوعات تؤهل لامتحانات البغروت، لكن الطلاب لا يتقدمون للامتحانات. أمّا في "نبع التعليم التوراتي" (التيار التابع لحزب شاس)، فيتعلم الطلاب من أصل شرقي التكنولوجيا ولغات أجنبية.

وفي مقابل الدعم الذي يحصل عليه الحريديم تفرض وزارة التعليم رقابة وتفتيشاً، لكن المفتشين هم من الجماعات الحريدية نفسها. من الناحية العملية لا يوجد رقابة على تطبيق شروط الوزارة بالنسبة إلى منهاج التعليم، وتعيين المعلمين، وشمل موضوعات عامة.⁽¹³⁾ لهذا السبب مارست الأحزاب السياسية ضغوطاً شديدة لفرض جزء من المناهج العامة على الحريديم، كما نص الاتفاق الأساسي معهم. وأمام تصاعد الاحتجاج والضغط أعلنت وزيرة التعليم سنة 2002 أن جميع تيارات التعليم، بما فيها التيار الحريدي، سوف تلزم بتدريس منهاج أساسي مشترك ضروري لتأهيل "مواطنين مسؤولين في المجتمع الإسرائيلي الحديث". وفي إطار هذا المنهاج يلزم التعليم الحريدي بتدريس الرياضيات، واللغة الإنكليزية، واللغة العبرية، والمدنيات. ومن هذه الموضوعات ستكون المدنيات والدين اليهودي موضوعين إجباريين للجميع. وقد تمت بلورة الخطة بالتشاور مع شبكات التعليم الحريدي. والحقيقة أن شبكات التعليم الحريدي المستقل (التابعة لأغودات يسرائيل) و"نبع التعليم التوراتي" (التابع لشاس) تدرس الطلاب موضوعات غير الدين، لذلك فإن إضافة موضوع أو اثنين لن تغير شيئاً. لكن كثيرين من أبناء الحريديم يتعلمون في الشبكة الثالثة (المعفاة)، وهي "تعاليم التوراة"، ولا ينطبق عليهم ما ينطبق على الآخرين.⁽¹⁴⁾

ثانياً: التعليم الحريدي:

تاريخ اليشيفوت وتطورها

ارتبط تأسيس اليشيفاه وصوغ مضمونها ببدايات التعليم الديني في الشتات اليهودي في أوروبا. كان هذا التعليم حريدياً في أساسه، وكان تعزيزه - في معظم الحالات - ردة فعل على خطر الانخراط والانصهار في المجتمعات الأوروبية ودول المهجر الأخرى، وحتى في فلسطين. وفي البلاد العربية استمر التعليم اليهودي الحريدي على الرغم من تأسيس مدارس حديثة، لكن أهميته في كل من العراق وتونس كانت ضئيلة نسبة إلى التعليم الحديث.⁽¹⁵⁾

في القرن التاسع عشر تحولت الدراسة في اليشيفاه إلى قيمة اجتماعية عالية، وانتشرت معايير اجتماعية داعمة لها تفضل الزواج بالطالب الذي يكرس حياته لدراسة التوراة. وفي أعقاب ذلك نشأت مؤسسات تعليمية كثيرة من اليشيفوت والكوليل (معاهد للطلاب المتزوجين)، وخصوصاً في شرق أوروبا.⁽¹⁶⁾

منذ بداية القرن العشرين، وخصوصاً منذ الثلاثينات، بدأ التمييز بين نوعين من

اليشيفوت: يشيفوت التيار الأورثوذكسي الحديث التي تدمج بين تعليم التوراة وتعليم العلوم الحديثة والمهن، ويشيفوت التيار الحريدي التي تفصل بين تعليم التوراة وتعليم هذه العلوم. كان النوع الأول منتشرًا بصورة خاصة في الولايات المتحدة. أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد انتشر أسلوب الجمع بين نوعي التعليم حتى في التيار الحريدي المتشدد، لكن مع الحرص على ألا يدمج بينهما تحت سقف واحد، أي ألا يدرسان في المؤسسة نفسها، وإنما يسمح للطالب بأن يدرس العلوم العامة في مؤسسات غير اليشيفاه.⁽¹⁷⁾

خلال الحرب العالمية الثانية، تجدد في الولايات المتحدة نمط اليشيفاه اللتوانية، التي تجبر الطلاب على تكريس جل وقتهم لدراسة التوراة، ولا تسمح بدراسة العلوم العامة. وشكل هذا النمط قدوة لإقامة اليشيفوت في البلد منذ ذلك الوقت. إلى جانب اليشيفوت المخصصة للذكور أقيمت يشيفوت جديدة لتعليم الإناث، وهذه ساهمت كثيراً في نشر قيمة تكريس الرجال وقتهم لدراسة التوراة من خلال تنشئة الطالبات على تفضيل الزواج بهؤلاء والقبول بحياة متقشفة مادياً.⁽¹⁸⁾

أما في فلسطين، فتعود بدايات التعليم الحريدي إلى ما قبل مئتي عام عندما أقيمت مؤسسات التعليم في صفد وطبرية والقدس. وكانت مؤسسات التعليم في الموشافوت الأولى حريدية على نمط التعليم الحريدي في الخارج. لكن التغيير بدأ بعد بداية نشاط البارون إدموند دو روتشيلد ومبعوثيه في المستعمرات، الأمر الذي أدى إلى صراع بشأن طبيعة التعليم ومضامينه. ثم انتشر أسلوب الحياة العلماني والتعليم العلماني، واستمر التعليم الحريدي في بعض "المحميات" ذات الأغلبية الحريدية، مثل بني براك وبعض الأحياء في المدن الكبيرة والمستعمرات الزراعية.⁽¹⁹⁾

قبل الحرب العالمية الأولى، تم الاتفاق بين الحركة الصهيونية وحزب أغودات يسرائيل على أن يدعم هذا الأخير خطط الحركة وتحقيق وعد بلفور في مقابل وضع التعليم مستقبلاً، أي بعد قيام الدولة، في يد الحريديم.⁽²⁰⁾ وفي سنة 1920، قرر مؤتمر لندن منح التعليم الديني الاستقلالية. وشكل هذا القرار أساساً للاتفاقات اللاحقة بين الحركة الصهيونية، ثم دولة إسرائيل بعد قيامها، وبين المتدينين، والتي تم تشريعها في قانون التعليم الحكومي سنة 1953.⁽²¹⁾

ومنذ سنة 1920، بدأ التمييز بين تيار المزراحي (تيار الصهيونية المتدينة) وتيار أغودات يسرائيل الحريدي. وقد اعترفت حكومة الانتداب بالتيار الأول، إضافة إلى التيار العام والتيار العمالي، وتحول لاحقاً إلى الحزب الديني القومي (المفدال). وبعد صراع استمر أعواماً حصل تيار أغودات يسرائيل، بدوره، على الاعتراف والتمويل. وتطور هذا التيار بمساعدة "صندوق التوراة" التابع لأغودات يسرائيل في أوروبا، والذي ساهم في إقامة مدارس في مستعمرات متعددة. وفي سنة 1935، أسس الحاخام

كارلتس "مركز التوراة في أرض إسرائيل" في تل أبيب. وقد عالج هذا المركز مسألة إقامة المدارس الحريدية للذكور والإناث في كل مكان توجد فيه جالية حريدية. وبناء على قرار منه تحول التعليم من لغة اليديش إلى اللغة العبرية، وذلك في إطار التنافس مع تيار المزراحي. كما أدخل إلى اليشيفوت تعليم المهن. كذلك ساهم المهاجرون الناجون من الكارثة، بعد الحرب العالمية الثانية، في إقامة مدارس حريدية، مثل شبكة "بيت يعقوب" و"يسودي هتوراه" و"اليشيفوت المقدسة" ومعاهد "بيت يعقوب" للإناث.⁽²²⁾

ثالثاً: التعليم الحريدي في إسرائيل

عشية إعلان إقامة دولة إسرائيل تم التوصل إلى اتفاق "الوضع الراهن"، الذي ضمن استقلال جهاز التعليم التابع لأغودات إسرائيل. وبناء على هذا الاتفاق انضم الحزب إلى الحكومة الموقته ومجلس الشعب. وفي السنة اللاحقة (1949) دخل ممثلوه الكنيست، وانضم إلى الحكومة، واعترف بمؤسساته كتيار مستقل تمويل الحكومة 60% من نفقاته. وبهذا يكون أغودات إسرائيل اختار الاندماج في الدولة عملياً، والاعتراف بمؤسساتها وقوانينها ضمناً، شرط ألا تتناقض مع روح التوراة. غير أنه رفض الصبغة العلمانية للدولة ومنهاج التعليم الحكومي، وبقي الخلاف الأساسي بشأن صبغة التعليم ومضامينه وأهدافه. ومع التوصل إلى هذا الاتفاق يكون الحزب قد أجبر دافيد بن - غوريون على التراجع عن فكرة توحيد جميع تيارات التعليم، وتم الاعتراف بالتعليم الحريدي، الذي كان يعرف بالتيار الرابع، كتيار مستقل مع امتيازات كثيرة. وتنازل هذا التيار عن جزء من الميزانيات الحكومية في مقابل المحافظة على استقلاله. واعترف به أنه تيار "معترف به غير رسمي". أما العجز في النفقات فقد تمت تغطيته من تبرعات اليهود في الشتات، وخصوصاً في الولايات المتحدة، ومن أهالي الطلاب. هكذا اختار المتدينون الحريديم، بمحض إرادتهم، الانعزال والبقاء خارج الإجماع الصهيوني. أما تيار المزراحي فبقي تياراً مستقلاً داخل وزارة التعليم تحت اسم "التعليم الحكومي - الديني". وعلى هذا الأساس، ينقسم التعليم الديني في إسرائيل إلى تيارين رئيسيين: التعليم الحكومي الديني، والتعليم الديني الحريدي المستقل الذي يتبع حزب أغودات إسرائيل، وفيما بعد ظهر التيار التابع لحزب شاس، "نوع التعليم التوراتي"، إضافة إلى مؤسسات خاصة أخرى.⁽²³⁾

يشمل الاتفاق، الذي أبرم بين أغودات إسرائيل والدولة، بنداً نص على كون هذا التيار مستقلاً في إدارته ومنهاجه ومضامين التعليم، وأنه يخضع فقط لقرارات مجلس كبار حكماء التوراة، لكنه متساو في الحقوق مع بقية التيارات. في الفترة الأولى، بعد قيام الدولة، تم تحديد أنماط هذا التعليم ومضامينه وأشكاله باستقلالية تامة. وبعد

سن قانون التعليم الحكومي، سنة 1953، أصبحت مؤسسات أغودات يسرائيل تسمى التيار المستقل. لكن بعض مؤسسات تعليم التوراة بقي خارج الاتفاق، وعرف وضعه القانوني بأنه مؤسسات "معفاة"، أي أنها غير ملزمة بتطبيق قانون التعليم الإلزامي، ويدرس فيه اليوم أكثر من 30.000 طالب. وفي الوقت نفسه، هناك مدارس أخرى، هي "مدارس خاصة"، لا تحصل على تمويل حكومي، وهي مؤسسات تعليم من الحضانات والتعليم الابتدائي وفوق الابتدائي، ومعاهد معلمين ومعلمات، وجميعها على شكل "يشيفوت".

انتعش التعليم اليهودي بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 بتأثير النتائج الاجتماعية والنفسية وانعكاساتها على الهوية الجماعية والفردية في إسرائيل. وفي السبعينات وأوائل الثمانينات، ظهر في إسرائيل ميل نحو البحث عن الجذور والعودة إلى الأصول اليهودية، فاستجابت الحركات الأورثوذكسية لهذه الميول بحماسة شديدة. إذ انبعث الشعور لديها بأن الفرصة حانت لاستلام القيادة، ولجذب القلوب النائية، ولإثبات صحة طريقها، وحتى لإرجاع الناس إلى الدين، ومن خلال ذلك تحقيق مصالح دينية، مثل زيادة الميزانيات وتعزيز القوة السياسية وسن قوانين عامة.⁽²⁴⁾

كذلك ساهم قيام المدارس الإعدادية، في السبعينات، في ترسيخ التعليم الحريدي بين الشرقيين. لكن السبب الرئيسي في تطور التعليم الحريدي هو التكاثر الطبيعي. كما أن الجهاز استوعب كثيراً من طلاب التعليم الحكومي الديني وخريجيه، ولا سيما خريجي اليشيفوت الذين تشابهت مواقفهم من الحريديم ونظرتهم إليهم. إلى جانب ذلك، واجه التعليم الحكومي الديني منذ فترة طويلة أزمات حادة، لأسباب متعددة، ساهمت في إضعاف اليشيفاه الثانوية، وفي نفور كثيرين من تعليم أولادهم في المدارس الداخلية وتفضيل إرسالهم إلى المدرسة الحكومية الدينية العادية، أو إلى مؤسسات التعليم الحريدي الصوفي. وهذا الأخير يتصف بالانقطاع عن الواقع، ويبني الحواجز مع العالم المتطور والعلم، لكنه يتحول إلى حريدي قومي.⁽²⁵⁾

أمّا بالنسبة إلى تعليم الإناث، فقد كان معهد "أور حايبم" أول معهد فوق ثانوي للإناث من أصل شرقي تأسس، في أوائل الستينات، كمشروع خاص في بني براك. وتحول إلى نموذج لمؤسسات أخرى قامت فيما بعد. لكن الدفع الحقيقي في تعليم الإناث أحدثته معاهد حركة "بيت يعقوب" التي انتشرت في أنحاء البلد كافة. وهي تؤهل معلمات مدارس ومربيات لحضانات الأطفال والمدارس الداخلية. وإلى جانب معاهد المعلمين أقامت الحركة شبكة مدارس صناعية فوق ثانوية للإناث اللواتي وجدن صعوبة في الدراسة في المعاهد العادية. وقد تعلمن مهناً تقليدية، مثل الخياطة والطهو والإدارة والحسابات، ويتم تأهيلهن لمهنة الحضانة وإدارة الحضانات وغيرها من المهن.

وهكذا تطور جهاز التعليم الحريدي وتفرع. فهو يشمل مؤسسات من الحضانة إلى الجيل المبكر وإلى المعاهد المخصصة للمتزوجين. إذ إن جهاز التعليم للذكور يتشكل من أربع مؤسسات: (26) (1) تلمود تورا: مماثل للمدرسة الابتدائية؛ (2) اليشيفاه الصغيرة: مماثلة للمدرسة الثانوية؛ (3) اليشيفاه الكبيرة (المقدسة): مماثلة لمعاهد التعليم العالي، ويتعلم فيها الطلاب من عمر 16 - 17 عاماً إلى سن الزواج؛ (4) كوليل: معهد للطلاب المتزوجين (أبراهيم).

وإلى جانب هذه المؤسسات تطورت شبكة التعليم المهني، حيث يتعلم الطلاب في النهار التوراة والعلوم الدينية، وفي المساء المهن التي تمكن من الاندماج في سوق العمل وتأمين الدخل. (27)

وكان تأسيس حزب شاس وإقامة شبكة التعليم الخاصة به من أهم أسباب هذا التطور. وقد أضاف تياراً ثالثاً إلى التعليم الحريدي. أسس الحزب، سنة 1985، صندوق التعليم إل - همعيان الذي بدأ نشاطه في تعليم التوراة للبالغين والشبيبة، وفي التربية على القيم والعادات والتقاليد اليهودية. كذلك بدأ بإقامة شبكة تعليم واسعة من رياض الأطفال إلى المعاهد الدينية العليا. وفي سنة 1993، حصلت هذه المؤسسات على اعتراف رسمي كتيار مستقل تحت اسم "معيان هاحينوخ هتورت" (أي "نبع التعليم التوراتي").

وفي التسعينات بالذات، حدث تضخم في الجهاز وزيادة كبيرة في عدد الطلاب، وخصوصاً في مؤسسات حزب شاس التي ارتفع عدد الطلاب فيها في الفترة 1995 - 1998 بنسبة 27٪. (28) فقد ارتفعت نسبة طلاب المرحلة الابتدائية في التعليم الحريدي إلى مجموع عدد الطلاب في إسرائيل من 6.6٪ في عام 1970/1969 إلى 21.2٪ في عام 2001/2000. (29) وارتفعت نسبة طلاب الثانوية من 3.7٪ إلى 15.3٪ في الفترة نفسها. ووصل عدد طلاب اليشيفوت فوق الثانوية إلى 31.000 طالب. ويضاف إليهم طلاب التوراة التابعون للتعليم المعترف به غير الرسمي، وعددهم أكثر من 30.000 طالب. (30) وفي سنة 2001، كانت الزيادة في عدد الطلاب بنسبة 8٪. (31)

أمّا المؤسسات المسماة "كوليل"، للرجال المتزوجين، فقد ارتفع عدد الطلاب فيها من 36.000 طالب في سنة 1990 إلى 73.000 طالب في سنة 1997. هذا إضافة إلى 6000 طالب يتعلمون نصف يوم. وهؤلاء جميعاً لا يعملون، ويعتاشون من مخصصات الضمان الاجتماعي. (32)

يجدر بالذكر أن جزءاً من الزيادة في عدد طلاب التعليم الحريدي وارتفاع نسبتهم يعزى إلى نشاط الحركات الحريدية بين المهاجرين من روسيا، وإلى الفعاليات، لإعادة الناس إلى الدين.

وقد انتعش التعليم الحريدي في القدس، بالذات، بسبب هجرة الحريديم من الولايات المتحدة وإرسال كثيرين من الشبيبة من دول الغرب إلى اليشيفوت ومعاهد البنات. وهذه الأسباب كلها أدت إلى توسع وازدهار التعليم الحريدي إلى درجة أن أغلبية الطلاب في الصفوف الدنيا في القدس تتعلم في مؤسسات حريدية.⁽³³⁾

رابعاً: تمويل التعليم الحريدي

حرصت الحركات الحريدية على ألا يتجاوز تمويل وزارة التعليم لمؤسساتها التعليمية نسبة 60% من نفقاتها، وذلك للحفاظ على استقلاليتها. فقد رفض الحاخام شاخ عرض مناحم بيغن لزيادة نسبة التمويل إلى 100% لمؤسسات التعليم المستقل. ومنذ سنة 1992، أضيف بند جديد في ميزانية وزارة التعليم: "أنشطة التعليم المستقل والمعترف به"، يتم بواسطته تخصيص الميزانيات لمؤسسات حزب شاس، إضافة إلى بنود الأنشطة الثقافية للحريديم. وقد استطاع هذا الحزب أن يرفع تمويل مؤسساته ستة أضعاف بين سنة 1991 وسنة 1998، بينما ارتفع عدد المؤسسات والطلاب ثلاث مرات فقط.⁽³⁴⁾

والحقيقة أن التمويل الحكومي لليشيفوت شكل جزءاً صغيراً من الإنفاق الحقيقي عليها، لكنه كبر مع الوقت. أما الجزء الأكبر فهو من الجوالي اليهودية، وخصوصاً من الجالية اليهودية في الولايات المتحدة؛ فمنذ الخمسينات تحسن الوضع المادي لليشيفوت في الغرب، وفي إسرائيل بصورة بارزة. وأدى هذا الدعم إلى زيادة عددها بسرعة، وتم تطوير بناها التحتية، وارتفع مستوى الخدمات فيها. وبهذا تعززت جاذبيتها بين الشبيبة الحريدية. غير أن الثورة التي حولت المجتمع الحريدي إلى "مجتمع الدارسين" تتمثل في إقامة "الكوليل" للطلاب المتزوجين، الأمر الذي أعفاهم من الخدمة العسكرية. والفارق بين "الكوليل" واليشيفاه أن الطلاب يعودون إلى بيوتهم بعد اليوم الدراسي.⁽³⁵⁾

وحتى سنة 1997 لم يكن تمويل وزارة التربية يشمل توفير الأبنية لجهاز التعليم الحريدي. إلا أنه في هذه السنة بدأت الوزارة بناء صفوف، وحصل الحريديم على 16% من مجموع 1325 صفاً تم بناؤها، لكن نصيبهم الفعلي وصل إلى 26% بسبب الإضافة التي أُقرت لهم طبقاً للاتفاق الخاص بإقامة الائتلاف الحكومي.⁽³⁶⁾

وتُمنح هذه المؤسسات ميزانيات أخرى للإنفاق على سفر الطلاب والمعلمين؛ ويتمتع الطلاب بأوضاع تعليم أفضل كثيراً من تلك المتوفرة في المدارس الأخرى. فحجم الصف لا يتعدى 23 طالباً في مقابل 29 طالباً في التعليم الحكومي، وحجم المؤسسة يبلغ في المعدل 172 طالباً في مقابل 358 طالباً. كما يظهر ذلك في معدل عدد الطلاب في مقابل كل معلم؛ فهو يصل إلى 19 في التعليم الحكومي، و15 في

التعليم المستقل، و13 في مؤسسات شاس. كذلك يقدم للطالب في التعليم الحكومي في المعدل 1.36 ساعة تعليم في مقابل 1.56 ساعة في التعليم المستقل، وساعتان كاملتان في مؤسسات شاس.⁽³⁷⁾

يُمنح التعليم في المدارس الداخلية امتيازات إضافية، وترفع تكاليف التعليم، إذ ينفق على كل طالب في الداخلية ضعف ما ينفق على الطالب العادي.⁽³⁸⁾ وقد وصلت نسبة من يدرسون فيها بين طلاب التعليم الديني فوق الابتدائي إلى نحو 50٪، معظمهم طلاب يشيفوت، إذ يدرس 91٪ من طلاب يشيفوت في سن الثانوية، و57٪ في سن الإعدادية، في مؤسسات داخلية، وتبلغ نسبة طلاب الداخلية إلى طلاب يشيفوت 72٪. لذلك يحصل الحريديم على ميزانيات أعلى كثيراً، وخصوصاً من وزارة الأديان. هذا إضافة إلى الميزانيات التي تخصصها السلطات المحلية، ووزارة التعليم، ووزارة العمل والرفاه الاجتماعي.⁽³⁹⁾

فيما يختص بتمويل برامج رعاية الطلاب المتدينين، على مختلف تياراتهم، فإن وزارات متعددة، وخصوصاً وزارة العمل والرفاه الاجتماعي ووزارة الأديان، تقدم مبالغ طائلة لتمويل تعليمهم ودعمهم اقتصادياً، إضافة إلى ما تقدمه وزارة التعليم وفق المعايير التي أقرها القانون. أمّا دعم وزارة الأديان لمختلف أطر التعليم الحريدي فقد وصل سنة 1998 إلى 960 مليون شيكل، وهو مبلغ يعادل 62٪ من ميزانيتها.⁽⁴⁰⁾ وقد وصل إنفاق الوزارة على يشيفوت وحدها إلى أكثر من نصف ميزانيتها.⁽⁴¹⁾ ويحصل 83٪ من الطلاب، الذين يحصلون على تمويل وزارة الأديان، على تمويل مماثل من وزارة التعليم، مثل بقية طلاب جهاز التعليم الحكومي. والنتيجة أن الإنفاق على الطالب المتدين يزيد بنسبة 45٪ عن الإنفاق على الطالب العادي.⁽⁴²⁾ وسنعود إلى هذا الموضوع لاحقاً، مكتفين حالياً بالإشارة إلى أن مبالغ كبيرة يتم توجيهها إلى المؤسسات التعليمية الخاصة بالطلاب المتدينين، وأخرى تقدم كدعم للطلاب، بعضها بصورة مباشرة وبعضها الآخر بصورة غير مباشرة، وهي لا تحسب ضمن الإنفاق على التعليم.

تدعم وزارة التعليم 41 جمعية حريدية تقدم دروساً دينية خارج أطر التعليم الرسمية، وتمول الإنفاق على تعليم التراث اليهودي للقادمين الجدد. وفي سنة 1994، أقيمت شعبة خاصة بالتراث الحريدي.

يشكل التعليم في معظم الفئات السكانية وسيلة لتحسين الوضع الاقتصادي والتخلص من الفقر. لكن الأمر مختلف في حالة الحريديم؛ فهم أكثر الفئات تعليماً في إسرائيل، من حيث عدد أعوام التعليم، غير أن المردود الاقتصادي عن كل عام أقل كثيراً من مردود عام دراسي لدى بقية الفئات، لأن تعليمهم غير قابل للبدل في سوق العمل. ويعود ذلك إلى نوعية التعليم ومضمونه اللذين يقللان فرصهم في الاندماج في سوق

العمل، والتي تنخفض مع مرور الوقت. وفي حال دخلوا سوق العمل تكون أجورهم منخفضة.⁽⁴³⁾

يحصل العاملون في التعليم الحريدي على أجور أدنى من أجور العاملين في جهاز التعليم العام. فالوظيفة يتم تقسيمها إلى وظائف جزئية كي يستفيد منها أكبر عدد من النساء.⁽⁴⁴⁾ والمسؤولون عن المؤسسات يقطعون من بند الأجر في الميزانية للإنفاق على فعاليات أخرى. وهم يستطيعون فعل ذلك لأن المؤسسات الحريدية تعتبر خاصة، ولا تخضع لرقابة صارمة كما هي الحال في جهاز التعليم العام. وهذا يعتبر أحد أسباب ارتفاع نسبة العائلات الفقيرة في المجتمع الحريدي.⁽⁴⁵⁾

من هنا، يعيش الحريديم أوضاعاً اقتصادية صعبة تنعكس على مجمل نواحي حياتهم: مستوى الدخل منخفض، وعدد أفراد العائلة كبير. أما السبب الرئيسي فهو عدد العاملين المعيلين الضئيل، الناتج من تفرغ عدد كثير من الرجال للدراسة في المؤسسات الدينية. فقد وجد بيرمان وكلينفوف أن 67% من الرجال الحريديم لم يعملوا في سنة 1993.⁽⁴⁶⁾ أما دهان، فقد وجدت أن 58% من الرجال لم يحسبوا ضمن القوة العاملة المدنية في سنة 1995، وأن 31% فقط عملوا في وظيفة كاملة.⁽⁴⁷⁾

رأينا في هذا الجزء أن التعليم الديني الحريدي يكلف ميزانية الدولة أموالاً طائلة. لكن مردوده الاقتصادي ضئيل جداً قياساً بمردود التعليم العادي. وهذا بدوره يجعل قسماً كبيراً من الحريديم يعتمد في معيشتهم على مخصصات الضمان الاجتماعي. إلا أن ما يفاقم الوضع ويثير الرفض لدى الجمهور الإسرائيلي هو انتشار ظاهرة "مجتمع الدارسين"، التي ترهق كاهل المجتمع مادياً، وتضاعف الشعور بالتمييز لمصلحة فئة لا تقدم خدمة للمجتمع وتستغل قوتها السياسية في ابتزازه.

خامساً: تطور ظاهرة "مجتمع الدارسين"

تطورت هذه الظاهرة لأسباب ديموغرافية خاصة بالحريديم بعد الحرب العالمية الثانية، في إثر القضاء على جهاز اليشيفوت الحريدي في شرق أوروبا. كما تطورت بسبب مواجهة الحريديم للبيئة العلمانية التي وضعت أسسها الحركة الصهيونية في البلد.⁽⁴⁸⁾

ويعتبر التعليم في اليشيفاه أسلوب حياة متكاملًا يعتاش منه الإنسان المتعلم، وهو ما يسمونه "توراته مهنته". وهذا، إضافة إلى الدخل المضمون، سبب للتهرب من الخدمة العسكرية، ووسيلة لإبعاد الشباب عن العلوم والمهن، لأن التعامل مع العلوم مفسدة، أما العمل في أية مهنة فهو للطبقات الدنيا. كذلك فإن معرفة التوراة هي علاج للروح والجسد.⁽⁴⁹⁾ لذلك كانت اليشيفاه الرد الأساسي على مخاطر المحيط؛ من جهة عزلت الشباب الحريدي في أطر متشددة ذات مستوى عقائدي ديني وتربوي عال، ومن

جهة أخرى شكلت بديلاً من الاستيطان والأمن مشحوناً بمعنى البطولة والبطولية. من هنا فاليشيفاه عُرِضت على أنها لا تشكل تهدياً من الحياة المثالية، وإنما هي إطار يلزم التضحية ليس أقل من الكيبوتس أو الجيش.⁽⁵⁰⁾

في مقابل اليشيفاه الحريدية أنشأ تيار المزراحي في فلسطين، وبعد قيام دولة إسرائيل، يشيفوت من نوع حديث، مختلفة في عدد من الخصائص التي تمكنها من التكيف وفق أهداف الحركة الصهيونية، والمساهمة الفعالة في بناء الدولة وقيادتها في المجالات كافة. أمّا اليشيفاه الحريدية فقد استمرت في نهجها التقليدي: فهي لا تمنح شهادة البغروت التي لا يمكن من دونها الالتحاق بالتعليم العالي والاندماج في سوق العمل، وتبذل⁽⁵¹⁾ مجهوداً لتربية الطلاب على المحافظة على تقسيم العمل التقليدي في العائلة بين الرجال والنساء، ولمنع الطلاب من الخدمة العسكرية؛ فالأهل الحريديم يخافون من التجنيد في الجيش لأنه وسيلة تعرض الأبناء لثقافة الشبيبة الإسرائيلية العلمانية، وبالتالي يقعون تحت تأثير القيادة والزملاء العلمانيين. فقد اعتاد هؤلاء السخرية منهم وإحراجهم بسبب عقيدتهم ولباسهم المميز.⁽⁵²⁾ ويبرر الحريديم التنصل من الخدمة العسكرية على النحو التالي: إن طلاب التعليم الحريدي الذين "توراتهم مهنتهم" لا يخدمون في الجيش باعتبار أن لا شيء يحافظ على شعب إسرائيل أكثر من التوراة ومن يتعلمونها. وعلى الرغم من إدراك أهمية الجيش وميل الحريدي إلى الإيثار والتضحية بالنفس، فإن القيمة العليا تبقى لتعلم التوراة.⁽⁵³⁾ وفيها لا تعزى أهمية إلى النشاط اللامنهجي خلال الدراسة. وهي تشكل إطاراً يعبر عن وجهة نظر وأسلوب حياة أصولي، ويرعاهما، لذلك فهي أكثر من مجرد مؤسسة تعليم؛ إنها إطار حياة شامل تستمد معنى وجودها من الدين، وهو الذي يبلور بصورة مطلقة ومتفردة مجمل أهدافها ومضمونها. والتعليم في اليشيفوت، وفق مثالية "التوراة من أجل التوراة" التي تشكل قيمة أساسية في اليهودية التقليدية، لا يهدف إلى تحقيق أهداف مهنية عملية؛ ففي اليشيفاه لا تجرى امتحانات بصورة مكثفة، وهي تعمل على تماسك طلابها كجماعة، وتعزلهم عن العالم الحديث - العلماني - خارجها، وترعى وتغرس مرجعية المصادر النظرية المقدسة التي يدرسها الطلاب وكذلك مفسروها، وضمنهم قيادات اليشيفاه والمعلمون فيها. إذ إن اليشيفاه الحريدية تبقى مختلفة عن الحديثة، التابعة للصهيونية المتدينة، في أنها أسست شموليتها على الانعزال عن المجتمع العلماني المحيط بها، وعن الأيديولوجيا الصهيونية.⁽⁵⁴⁾ وعلى الرغم من أن نوعي اليشيفوت يريان أصولية دينية فإن الاستنتاجات المترتبة عليهما، وخصوصاً في المجال السياسي، مختلفة، وفي معظم الأحيان متناقضة.⁽⁵⁵⁾ وينبع الفارق الأساسي من أن الحريديم يسعون لإرجاع الناس إلى الدين بواسطة التبشير على أساس شخصي، بينما تسعى الصهيونية المتدينة لتحقيق الخلاص لليهود بصورة

جماعية. (56)

أنتجت هذه الأصولية ظاهرة فريدة في نوعها هي ظاهرة "مجتمع الدارسين": مع قيام إسرائيل بدأ وهج الشعارات والمثاليات الصهيونية يخبو، ودخل الإسرائيليون مرحلة جديدة من اللهاث وراء المكنات والرموز البورجوازية. وكانت ردة فعل المجتمع الحريدي أنه عرض بديلاً أيديولوجياً وأسلوب حياة مناقضاً يتمثل في اليشيفاه المقدسة على شكل الأديرة. وأخذت العودة إلى اليشيفاه تمثل بطولة وتمرداً على الآباء الذين يبحثون عن هدف دنيوي (مهنة) لأبنائهم؛ وهكذا بدأت تتبلور ثقافة شباب هي بمثابة ثقافة مضادة لثقافة الآباء الذين تلوثوا بـ "جرثومة الثقافة الغربية". (57)

أرسل الإسرائيليون أبناءهم إلى المدارس الثانوية، بينما أرسل الحريديم أبناءهم إلى اليشيفاه. وبهذا تعززت تبعية هؤلاء الأبناء للعائلة، التي بدورها تعززت مكانتها كإطار فعال في الضبط الاجتماعي. التحق الصبي الحريدي في سن الثالثة عشرة باليشيفاه الصغيرة؛ وهذه عبارة عن مؤسسة داخلية شمولية تخضع لتأثير رجال الدين. وهكذا أغلقت أمامه فرص الاتصال المباشر بالشبيبة خارج اليشيفاه. وكلما كبر ونضج لدخول معترك الحياة زادت الفجوة التعليمية والاجتماعية بينه وبين أبناء جيله من غير الحريديم، وأصبح من الصعب عليه ترك اليشيفاه.

منذ الستينات حدث تحول في المجتمع الحريدي تمثل في التشديد على أهمية التفرغ للدراسة في اليشيفاه و"الكوليل"، وأخذت هاتان المؤسستان تشددان أكثر فأكثر على تطبيق هذا النمط. لقد أصبح في الإمكان ترسيخ اليشيفاه كإطار مناقض للتمدن، والتفرغ لتحقيق مثالية خارجة عن هذا العالم بالذات في ظل دولة الرفاه الاجتماعي، التي مولت - من جانب آخر - ثقافة التنافس والإنجاز. (58)

مكنت الدولة الحريديم من التحول إلى "مجتمع دارسين" استطاع أن يوقف عملية التحول من الدين إلى الثقافة العلمانية الغربية، وأنتجت العائلة الحريدية الممتدة، المكونة من عدة أجيال، والتي تشكل وحدة اجتماعية دينية. (59) في الوقت نفسه، أدى التحول إلى "مجتمع الدارسين" إلى تعزيز تبعية المجتمع الحريدي للمجتمع الأوسع بسبب التكاثر الطبيعي العالي الذي يزيد في الضغط الاقتصادي والتنافس في الوظائف التي يشغلها خريجو اليشيفوت و"الكوليل".

وهكذا تبلورت علاقات تبادل بين المجتمع الحريدي والمجتمع اليهودي. كانت بداية تبلور هذه العلاقات في الاعتراف بالتيار الحريدي (المستقل) الذي كرس هذا النوع من التعليم وأمكن توسعه. وهذا التوسع منح خريجات معاهد "بيت يعقوب" فرصة العمل في التعليم، بينما تفرغ الأزواج للدراسة. أمّا الإعفاء من الخدمة العسكرية فقد مكن من قيام جهاز تنشئة مغلق ورقابة على عمليات الزواج. وبالتالي وفر المجتمع الغربي الحديث بالذات إمكان توفير الموارد لإقامة اليشيفوت و"الكوليل"،

وفرص إيجاد وظائف للخريجين. وتبين أن تعلم التوراة تحول في المجتمع الإسرائيلي إلى غاية.⁽⁶⁰⁾

كانت سياسة الدولة في العقود الأخيرة سبباً في تطور ظاهرة "مجتمع الدارسين" في المجتمع الحريدي. فالتعليم في اليشيفاه حتى الزواج، ومن ثم في "الكوليل"، شمل الرجال الحريديم كلهم. وتعود بداية هذه الظاهرة إلى قيام الدولة، عندما قررت حكومة إسرائيل أن تمنح 400 من طلاب اليشيفوت مكانة "توراتهم مهنتهم"، التي تعني تأجيل تجنيدهم. وفي سنة 1968، قررت لجنة وزارية زيادة عددهم إلى 800 طالب.⁽⁶¹⁾ في سنة 1977، وفي إطار الاتفاق على تأليف الحكومة، ألغى تحديد عدد الطلاب الذين "توراتهم مهنتهم"، وأصبح كل حريدي يدعي الانتماء إلى هذه الفئة يحصل على اعتراف.⁽⁶²⁾

منذ سنة 1995، زاد عدد من يحصلون على إعفاء من الخدمة العسكرية بسبب كونهم متزوجين، أو بسبب سنهم. وهكذا فإن الآلاف يتفرغون للدراسة في "الكوليل"، ويحصلون على مخصصات مالية من الدولة. وبحسب معطيات سنة 1999، وصل عدد الذين تعترف بهم سلطات الجيش بأنهم "توراتهم مهنتهم" إلى أكثر من 28.000 حصلوا على إذن تأجيل الخدمة العسكرية، ويدرسون في 700 يشيفاه معترف بها،⁽⁶³⁾ منهم 49% في سن 17 - 21 عاماً. وبحسب معطيات وزارة الأديان للفترة نفسها، منح أكثر من 57.000 طالب يشيفاه عليا و"كوليل"، وكان تعريفهم "توراتهم مهنتهم"، دعماً مالياً. وهذا يعني أن 29.000 طالب يشيفاه تقريباً معفون من الخدمة العسكرية، لكنهم يحصلون على الدعم على اعتبار أن "توراتهم مهنتهم"، وفق تعريف وزارة الأديان. وبحسب هذه المعطيات بلغ عدد من يدخلون "مجتمع الدارسين"، الذين لا يحسبون ضمن القوى العاملة، نحو 50.000 رجل في ذلك الوقت، وقد ارتفع عددهم في الأعوام الماضية. وهؤلاء من المفروض أن يكونوا معيّلين لـ 200.000 - 250.000 نسمة.

يحصل طالب "الكوليل" على منحة شهرية بقيمة 400 دولار. من المستغرب أن ميزانية الدولة والوزارات توضع بالشكل، بينما تحدد منحة الطالب الحريدي بالدولار. وهذا الطالب، على الرغم من أن المردود الاقتصادي من تعليمه ضئيل جداً، يكلف ميزانية الدولة مثلما يكلف الطالب الجامعي.⁽⁶⁴⁾

لكن نتائج انتشار ظاهرة التفرغ للدراسة مدى الحياة تعدت المجال الاقتصادي إلى المجال الاجتماعي والسياسي. فقد قاد طلاب اليشيفوت وطلاب "الكوليل" المنعزلون عن الحياة العامة، وحتى عن عائلات المنشأ التي خرجوا عنها، عملية تجديد في حياة الحريديم تتمثل في الميل نحو التطرف والتشدد. وهم يعكسون الواقع الاقتصادي الاجتماعي الجديد، الذي يمنحهم فرصة التفرغ للدراسة من دون مبالاة بكسب العيش.

وقد تحول هؤلاء إلى نخبة المجتمع، وتمتعوا بتقدير الجمهور الحريدي واحترامه. واعتبر هذا التوجه حراكاً نحو الأعلى نسبة إلى جيل الآباء. ومن الأسباب التي تفسر إمكان التوجه نحو التشديد في تطبيق الشريعة، وخصوصاً في مجال الحلال، ارتفاع مستوى الحياة في البلد، وقدرة المصانع التي تنتج للاستهلاك الشعبي على تحمل تكاليفه، وتنافس المصالح الاقتصادية في السوق الحريدية.⁽⁶⁵⁾ وكان من نتائج هذا الوضع تطور فئة طفيلية استطاعت أن تتحول إلى قوة سياسية كبيرة، وأن تستغل هذه القوة للتأثير في اتخاذ القرار، وخصوصاً في توزيع موارد الدولة. ومع الوقت شكلت عبأً على ميزانية الدولة، وأثارت الاتهام بالابتزاز واحتجاج فئات كبيرة من الجمهور الإسرائيلي. وقد وصل الأمر إلى اتهام حزب شاس بأنه يحاول أن يتنظم كدولة داخل دولة: "فهو معني بالسيطرة على الميزانية، وباستقلالية تربوية ثقافية كضمان لتحسين المجتمع المضاد"، ولذلك فهو يطالب بوزارة تعليم خاصة به، أي جهاز مقابل، مستقل، يسيطر على التعليم الحريدي وتوجيه الميزانيات بحسب مصالحه ووفق معاييره. وهذا يعني تقسيم الوزارة وزارتين، الأمر الذي يعني أن الخلاف هو بشأن القوة السياسية كوسيلة لبناء جهاز منفرد يمول من أموال الجمهور."⁽⁶⁶⁾

هذه الاتهامات واستياء الجمهور واعتراضه على تصرفات الحريديم ساهمت إلى حد كبير في استثنائهم من الائتلاف الحكومي الحالي. وقد يكون إقصاؤهم عن المناصب الوزارية محسوباً من جانب رئيس الحكومة. إذ إن هذه الخطوة ساعدت وتساعد في تطبيق الخطط الاقتصادية التي بادرت إليها الحكومة، ولا سيما أنها تشمل تقليص ميزانيات الخدمات الاجتماعية. وهي خطوة سيكون تأثيرها في جماعة الحريديم أكثر من تأثيرها في أية فئة أخرى. وقد ظهر بعض نتائجها مع توقيع شارون تعديل نظام توزيع الميزانيات من وزارة الأديان. وهو يقضي بوقف الدعم المادي من الحكومة للمؤسسات والطلاب الذين يحصلون على تمويل من وزارة التعليم.⁽⁶⁷⁾

خاتمة

تعميق الشرح الاجتماعي

مشاعر العدا

كانت الأحزاب الدينية دائماً الأكثر اهتماماً بالتعليم. أمّا الأحزاب الأخرى فلم تبلور مواقف محددة، وهي تمنح أعضاءها الحرية في اتخاذ المواقف التي يرونها صحيحة. والواقع أنه لم يكن هناك خلاف كبير بين الأحزاب فيما يتعلق بتعريف التعليم الجيد. غير أن هذا الوضع اختلف في الثمانينات، بعد أن بدأت الخلافات الحادة تظهر في شأن كل ما يتعلق بالتربية والتعليم، وخصوصاً توزيع الميزانيات ومضامين كتب التدريس والإصلاحات، واشتدت في العقد اللاحق مؤدية إلى تحولات جذرية في

سياسات التعليم. لكن الإصلاحات جاءت متأخرة بالنسبة إلى تأثيرها في امتيازات الجماعات الدينية، ولم تحدث التحولات تغييراً يذكر في قدرتها على ضمان استقلالها، أو حتى على زيادة حصتها من ميزانيات التعليم. إلا إن كلاً من الامتيازات التي حصل عليها المتدينون، وخصوصاً الميزانيات الهائلة من الوزارات والسلطات المحلية، واكتشاف التزييف في تقارير المتدينين، سبب كثيراً من الاحتجاج. ومما أثار غضب كثيرين من الإسرائيليين واحتجاجهم وتذمرهم أن الامتيازات في مجال التعليم جعلت من الحريديم قوة سياسية كبيرة تقرر في القضايا المصيرية والحيوية العامة، بينما مساهمتهم لمصلحة الدولة والمجتمع ضئيلة جداً. وبدأت قضية "مجتمع الدارسين"، الذين "توراتهم مهنتهم"، تشكل إحدى أهم القضايا المثيرة للجدل ومطالبة كثيرين بوضع حد لها في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تمر بها إسرائيل. وجاء التقليل في ميزانيات الخدمات والضمان الاجتماعي ليرز هذه القضية بصورة لم يسبق لها مثيل، إلى درجة أن حزب شينوي خاض الانتخابات الأخيرة وشعاره الرئيسي وضع حد لامتيازات الحريديم. وكان نجاح الحزب في استغلال هذه القضية كبيراً جداً. فقد استطاع أن يمنع انضمام الأحزاب الحريدية، وخصوصاً شاس، إلى الائتلاف الحكومي وإخراجها مؤقتاً من دائرة التأثير. ومن أهم نتائج هذا التطور أن الحكومة الحالية استطاعت أن تتخذ قرارات مهمة وثرورية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، من خلال البدء بتنفيذ خططها الاقتصادية الهادفة إلى تقليص الخدمات الاجتماعية والضمان الاجتماعي. وسيكون تأثير هذه الخطط في المجتمع الحريدي خاصة أقوى من تأثيرها في أية فئة اجتماعية أخرى. وفي ظل تقليص الموارد التي تمنحها ميزانية الدولة، والتي شكلت مصدراً لقوة الأحزاب الحريدية، وإقصاء هذه الأحزاب عن مركز اتخاذ القرار والتأثير في توزيع الموارد، فإن الساحة السياسية في إسرائيل قد تشهد تحولات جذرية في الأعوام المقبلة، وخصوصاً إذا فشلت الأحزاب الحريدية في ترسيخ أقدامها في السلطات المحلية.

وقد أثارت هذه الأحزاب معارضة شديدة في إسرائيل كانت من المتغيرات المهمة التي حددت نتائج انتخابات الكنيست الأخيرة، وتحديداً النجاح الكبير الذي حققه حزب شينوي. فهذا الحزب رفع شعار معارضة الأحزاب الدينية الحريدية ومقاومتها، وأحرز نتائج بارزة أثرت في الخريطة السياسية الإسرائيلية وتركيبه الائتلاف الحكومي، من دون أن يكلف نفسه عرض برنامج انتخابي واضح. ■

المصادر

- (1) إلعيزر دون يحياء، "أصولية دينية وتطرف سياسي: اليشيفوت القومية في إسرائيل" في: "استقلال: الأعوام الخمسون الأولى"، تحرير أنيتا شبيرا (القدس: مركز زلمان شازار لدراسة تاريخ إسرائيل، 1998)، ص 443.
- (2) المصدر نفسه، ص 454.
- (3) إلعيزر شبيد، "صهيونية ما بعد الصهيونية" (القدس: المكتبة الصهيونية، 1996)، ص 149.
- (4) شمعون تسادوق، "خصائص المجتمع الحريدي" (لا مكان: لا ناشر، 1989)، ص 21.
- (5) دون يحياء، مصدر سبق ذكره، ص 434.
- (6) مردخاي بار - ليف، "التوراة وديرخ إيريتس) أصول السلوك في اليشيفاه العصرية" في: "الصهيونية المتجددة بنظرة متجددة"، تحرير مؤير روط (عين زوريم: إصدار أمناء التوراة والعمل، 1998)، ص 108.
- (7) بنيامين شيشرانسكي، "التعليم الحريدي - تراث سيناء في أيامنا: الخلفية الفلسفية والفكرية للتعليم الحريدي"، في: "يوبيل جهاز التعليم في إسرائيل"، تحرير إلعاد بيلد (القدس: وزارة المعارف والثقافة والرياضة، 1999)، المجلد الثالث، ص 1035.
- (8) المصدر نفسه، ص 1037.
- (9) المصدر نفسه.
- (10) تسادوق، مصدر سبق ذكره، ص 18.
- (11) شيشرانسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1041.
- (12) "هآرتس"، 2002/8/23.
- (13) فاردا شيفر، "جهاز التعليم الحريدي في إسرائيل: التمويل، التفتيش، الرقابة" (القدس: معهد فلورسهايمر لدراسات السياسة، 1998)، ص 35.
- (14) "هآرتس"، 2002/8/23.
- (15) شيشرانسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1046.
- (16) عميرام غونين، "من اليشيفاه إلى العمل" (القدس: معهد فلورسهايمر لدراسات السياسة، 2000)، ص 29.
- (17) المصدر نفسه، ص 30.
- (18) المصدر نفسه، ص 32.
- (19) شيشرانسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1046.
- (20) المصدر نفسه، ص 1055.
- (21) يهودا كيل، "أسس، تاريخ، تخبط وتوسع التعليم الحكومي - الديني" في: "التعليم الديني في سن بلوغه: ثمانون عاما من التعليم الديني - القومي في أرض إسرائيل"، تحرير يهودا عزرائيلي (القدس: معهد التعليم الديني في إسرائيل،

- (1986)، ص 166.
- (22) شيشرانسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1048.
- (23) المصدر نفسه، ص 1052.
- (24) شبيد، مصدر سبق ذكره، ص 151.
- (25) يوئيل بن - نون، "أدوات أخذة في الانكسار"، "بنيم"، العدد 15 (18 تشرين الأول/أكتوبر 2000)، ص 13.
- (26) مناحم فريدمان، "المجتمع الحريدي: الجذور والتوجهات" (القدس: معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 1991)، ص 77.
- (27) شيشرانسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1054.
- (28) شيفر، مصدر سبق ذكره، ص 10.
- (29) "كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي 2001"، الجدول ج - 2.
- (30) وزارة المعارف والثقافة، "جهاز التعليم في مرآة الأرقام 2000" (القدس)، الجدول ج - 2.
- (31) "هآرتس"، 2002/8/13.
- (32) شيفر، مصدر سبق ذكره، ص 11.
- (33) شيشرانسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1049.
- (34) ريكي تسلر، "ثمن الثورة" في: "شاس تحدي الهوية الإسرائيلية"، تحرير يوآف بيليد (تل أبيب: مسكال، 2001)، ص 232.
- (35) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص 73.
- (36) شيفر، مصدر سبق ذكره، ص 14.
- (37) المصدر نفسه، ص 17.
- (38) شاحار إيلان، "حريديم محدود الضمان" (القدس: كيتز، 2000)، ص 163.
- (39) شيفر، مصدر سبق ذكره، ص 19.
- (40) مراقب الدولة، "الدعم من ميزانية الثقافة التوراتية والحريدية"، التقرير السنوي لسنة 1996، رقم 47 (القدس: مكتب مراقب الدولة، 1996)، ص 294 - 319.
- (41) إيلان، مصدر سبق ذكره، ص 155.
- (42) المصدر نفسه، ص 157 - 158.
- (43) إيريس جيربي وغال ليفي، "الشرح الاجتماعي - الاقتصادي في إسرائيل" (القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، 2000)، ص 73.
- (44) يائير شيلغ، "المتدينون الجدد: نظرة على المجتمع المتدين في إسرائيل" (القدس: كيتز، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 2000)، ص 129.
- (45) مومي دهان، "السكان الحريديم والسلطة المحلية: الجزء الأول - توزيع الدخل في القدس" (القدس: معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 1997).
- (46) E. Berman and R. Klinov, «Human Capital Investment and Nonparticipation: Evidence from a Sample with Infinite Horizons (or: Jewish Father Stops Going to Work),» Discussion paper, no. 97.05

(Jerusalem: The Maurice Falk Institution for Economic Research in Israel, 1997), p. 11.

- (47) دهان، مصدر سبق ذكره.
- (48) شيلغ، مصدر سبق ذكره، ص 120.
- (49) تسادوق، مصدر سبق ذكره، ص 28.
- (50) شيلغ، مصدر سبق ذكره، ص 121.
- (51) بار - ليف، مصدر سبق ذكره، ص 111 - 112.
- (52) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص 70.
- (53) شيشرانسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1043.
- (54) مناخم كلاين، "بار - إيلان: أكاديميا، دين وسياسة" (القدس: منشورات ماغنس - الجامعة العبرية، 1998)، ص 143.
- (55) دون يحياء، مصدر سبق ذكره، ص 433.
- (56) باروخ كيمرلينغ، "نهاية حكم 'الأحوساليم': الأشكناز العلمانيون الاشتراكيون القوميون" (تل أبيب: كيتز، 2001)، ص 33.
- (57) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص 72.
- (58) المصدر نفسه.
- (59) المصدر نفسه، ص 76.
- (60) المصدر نفسه، ص 77.
- (61) لجنة طال، "تقرير اللجنة لبلورة الترتيب المناسب في موضوع تجنيد طلاب اليشيفوت" (القدس: لا ناشر، 2000)، الجزء ب 1، ص 92.
- (62) المصدر نفسه، ص 93.
- (63) المصدر نفسه، "مسح القوى العاملة"، ص 380.
- (64) إيلان، مصدر سبق ذكره، ص 156.
- (65) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص 83.
- (66) زئيف شطيرنهيل، "دولة داخل دولة"، "هآرتس"، 2000/3/24.
- (67) "هآرتس"، 2003/4/16.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>